المحاضرة (3) تاريخ علم النفس الاجتماعي عند المسلمين

علم النفس الاجتماعي عند المسلمين

مما لا شك فيه ان علم النفس الاجتماعي له تاريخ عند العلماء المسلمين من خلال تناولهم لبعض الموضوعات التي تندرج ضمن علة النفس الاجتماعي سنحاول من خلال هذه المحاضرة التطرق باختصار لبعض هذه الإسهامات

1- **الفارابي(873-951)م**

يتفق أبو نصر محمد بن محمد مع أرسطو بوجود أساس فطري نفسي للحياة الاجتماعية، كما تحدث عن الجماعة وعن أسس تماسكها وهو الاشتراك في اللغة واللسان، وصفة النطق تلازم صفة الاجتماع، وإن الفروق بين البشر متأتية من مقدار حفظ الفرد من القوة الناطقة والتي تعد اليوم وسيلة الاتصال والتفاعل الاجتماعي، وتطرق أيضا إلى السمات الشخصية التي ينبغي توافرها لدى القائد ومنها سلامة الجسم والذكاء والفهم أو الإدراك وقد كان ضمن كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة والذي تأثر فيه بالتراث اليوناني خصوصا أفلاطون. (وحيد، 1421هـ-2001م، صفحة 29)

2- **ابن سينا:** عاش في القرن الرابع والخامس هجري ، له مؤلفات في جميع فروع الفلسفة اضافة الى كتابه "القانون" في الطب،والفلسفة عنده هي الحكمة التي تقوم على الاستكمال النفس الانسانية بالتصور الوجودي والتصديق بالحقائق النظرية والعلمية على قدر الطاقة الإنسانية .

اهتم ابن سينا بالكثير من الموضوعات التي تدخل في إطار علم النفس عامة وعلم النفس الاجتماعي خاصة، من هذه الموضوعات : الإدراك الحسي، الأساس الاجتماعي للمرض النفسي، والرمزية في العلاج النفسي، والتنشئة الاجتماعية فبخصوص الإدراك الحسي رأى أنه همزة وصل بين الإنسان والمجتمع وقد قسمه إلى نوعين :إحساس ظاهر وإحساس باطن فأما الأول فيحدث عن طريق الحواس الخمسة
(البصر،السمع،الشم،الذوق،اللمس)،أما الثاني فيحدث عن طريق الحواس الباطنة وهي خمسة أيضا: الحس المشترك،الصورة المتخيلة،القوة الوهمية أو الوهم والذاكرة الحافظة .وركز على أهمية الإدراك الحسي في اكتساب المعرفة، بالإضافة الى ذلك تناول بعض الموضوعات التي تدرس اليوم في علم النفس الاجتماعي على أنها مشكلات كأثر الآخر في تكوين الشعور بالذات ، وفي اضطراب الذات، أي كيف يكون للاضطراب علاقة بتفاعل الفرد مع الجماعة (أبو النيل، 2009، الصفحات 98-99)

أما بخصوص التنشئة الاجتماعية للطفل فرأى "ابن سينا" : أنه يجب على والد الصبي أن يبعده عن مقابح الأفعال ، ومعايب العادات بالترهيب والترغيب والتوبيخ فإن احتاج إلى الضرب فليكن.. فإذا وعي سمع الصبي فإنه يلقن معالم الدين وحفظ القرآن الكريم فإذا فرغ الصبي من تعلم القرآن وحفظ قواعد اللغة تعلم الصناعة التي تناسب طبعه فإذا اكتسب الصبي من صناعته فإنه يزوج كي لا تتلاعب به الشهوات . (أبو النيل، 2009، الصفحات 100-101)

"ركز ابن سينا في كتابه الأصل والعودة على أهمية العلاقات التي تربط الفرد بالجماعة ودور التفاعل في علاج حالات الانفعال والخوف وبعض الأمراض النفسية التي تصيب الإنسان في نفسه وجسمه،وكذلك أهمية التنشئة الاجتماعية. (الأزرق، 1434هـ , 2013م، صفحة 24)

3- أبو الحسن الماوردي(364هـ،450هـ/ 974م،1058م)

هو أبو الحسن علي البصري المشهور ب"الماوردي" شيخ الشافعية وأقضى قضاة بغداد، تناول بعض موضوعات علم النفس الاجتماعي وتطبيقاته في مجال الصحة النفسية ومجال المهن المختلفة وفي التنشئة الاجتماعية ورأيه السواء واللاسواء والاتصال الجمعي، وخصائص الأفراد المشتغلين بالمهن وشروط هذه المهن أيضا. (أبو النيل، 2009، صفحة 101)

فصل "الماوردي" في التنشئة الاجتماعية وأن هناك ما سماه "أدب التنشئة الاجتماعية"وصنفه إلى نوعين : (أبو النيل، 2009، صفحة 101)

4- أدب المواضعة والإصلاح ويقصد به مجموعة القواعد المصطلح عليها من طرف الأدباء العقلاء فيما يتعلق بموضوعات الخطاب وهيئات الازياء.

5- أدب الرياضة والاستصلاح: وقصد به مراقبة الإنسان لنفسه ومحاسبتها لتستديم له السعادة.

3- الغزالي: 450هـ 1058م/505هـ(عاش في القرن الخامس الهجري)

أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ولد بطوس من إقليم خراسان ببلاد فارس.أثرت فيه تنشئته الدينية كما تأثر بكل من أفلاطون وأرسطو، كما قرأ للفارابي وابن سينا .بلغت مؤلفاته سبعا وأربعين من جملة ما تناوله : العلاقة بين النفس والجسم ، السواء واللاسواء ، الاجتماع والإنسان ، النمو والتنشئة الاجتماعية وهذه الموضوعات تعتبر من موضوعات علم النفس الاجتماعي .

ويرى أن الاجتماع الإنساني ضمان بقاء الفرد وسلامته ولتلبية حاجات الإنسان وجب التعاون (أبو النيل، 2009، صفحة 104) .

وفي تفسيره للإدراك فقد قسمه "الغزالي" إلى إدراك حسي وإدراك معنوي أو نفسي: فالإدراك الحسي يتعلق بالعالم المادي ويكتسب بالحواس، أما الإدراك المعنوي (النفسي) فيتعلق بالعالم الخفي عالم الملك والملكوت ومع ذلك فالإدراك النفسي محدد بقيود الجسم (العمايرة، 1420هـ 1999م، صفحة 200)

كما اعتبر "الغزالي" أن الغاية من التربية هي التقرب إلى الله عز وجل والدليل على ذلك طلب العلوم ومحاسن الأخلاق . (العمايرة، 1420هـ 1999م، صفحة 200)

وغاية الأخلاق حب الله وحب لقائه والبعد عن الدنيا، كما كان له جملة من المبادئ التربوية الهامة ومنها: البدء بالتعليم في الصغر،مراعاة طبيعة الصبي (جانبه النفسي)،التدرج في التعليم ، ضرورة الترويح واللعب.

4- ابن خلدون:

أسهم ابن خلدون 1322-1406م في بعض موضوعات علم النفس الاجتماعي مثل: الاجتماع الإنساني، القيادة،تأثير البيئة في طباع البشر،الفروق في الطابع القومي بين الشعوب وفي التنشئة الاجتماعية للطفل

وتعتبر مقدمة ابن خلدون أول سجل حافل بمبادئ علم النفس الاجتماعي عند حديثه عن نشوء علم العمران وديناميكيات الجماعة، وبنائها وتفاعلها. " (شروخ، 2010، صفحة 23)

- العصبية : عرف عامر مصباح العصبية والتي تعد واحدا من المصطلحات الأساسية التي استخدمها ابن خلدون على أنها : "حالة من شدة الارتباط بين أفراد الجماعة الواحدة ، قبيلة أو أسرة .تقوم العلاقة بينهم على أساس الانتماء المشترك لنسب واحد أو قرابة واحدة ، تبلغ درجة قوة هذه العلاقة إلى مستوى الدفاع المشترك ضد عدو خارجي حمية وعصبية " (مصباح، 2010، صفحة 57)

كما رأى ابن خلدون أن الملك والرياسة يبدأ من المجتمع البدوي عبر أداة العصبية وكلما بقيت هذه العصبية مستحكمة ومسيطرة على سلوك أعضائها كلما بقي الملك متماسكا ومتعاظما عظمة على عظمة وامتداد على امتداد ." (مصباح، 2010، صفحة 57)

ضرورة السياسة : رأى أن "كل تجمع بشري لا بد له من سياسة تقوم عليه وتُصَرِّف مصالحه ويبني تحليله على مقدمات أو افتراضات منطقية ، إذ أن الإنسان مدني بطبعه، يميل بحكم الطبيعة إلى العيش مع بني جنسه، وهذا الاجتماع يتطلب بالضرورة إلى وازع قاهر يرجع إليه ويحكم فيه وهذا السلطان الحاكم تارة يحكم بشرع الله ، ويعتمد على الوازع الديني وهو نمط الخلافة في الحكم ..."

- أما أهم مفهوم لابن خلدون "العمران" فيشير به إلى حالة التجمع والتفاعل الاجتماعي بين عناصر المجتمع والبنى المشكلة له،بدافع ضرورة الحياة الاجتماعية والطبيعة الاجتماعية للنفس البشرية. وفي هذا الإطار من أقوال ابن خلدون :

"الاجتماع الإنساني ضروري ويعبر الحكماء عن هذا"الإنسان مدني بطبعه أي لا بد له من الاجتماع".

- اعلم أنه لما كانت حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التقلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول وأمرائها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش وللعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال " (مصباح، 2010، صفحة 62)

الملاحظ أن الدور الإسلامي في هذا التطور التاريخي مهم جدا ، لما كان للمفكرين المسلمين من دور تأسيسي لهذا المجال التخصصي المزجي بين علمي الاجتماع وعلم النفس.

"ومن خلال الرؤية الإسلامية المشتركة للطبيعة البشرية من حيث أنها تحتوي استعدادات متوازنة من الخير والشر ، وأن البيئة والوراثة تحددان اتجاه السلوك الإنساني ،وذهبوا الى التوازن في ديناميكية الفعل الاجتماعي، فالمغالاة في حقوق الفرد دون الاهتمام بحقوق الجماعة تؤدي إلى الفوضى واضطراب العمران كما أن المغالاة في حقوق الجماعة ،دون الاهتمام بحقوق الأفراد تؤدي الى الاستبداد،فالتوازن بين الحالين هو سبيل العدالة والحرية." (شروخ، 2010، صفحة 21)

يقدم الإسلام فهما موحدا للطبيعة الإسلامية والحياة البشرية ،وكان بالإمكان متابعة العلماء المسلمين إجراء البحوث العلمية الرصينة لتحقيق أهداف العلم في هذا المجال كشفا وتفسيرا ،وضبطا وتحكما ، وقدرة على التنبؤ ومقارنة النتائج بالذي في علم النفس الاجتماعي المعاصر لتحديد الأفضل، ولكن ذلك لم يحدث بعد" (شروخ، 2010، صفحة 24)

"ولكن ثمة محاولات جديرة بالتنويه في هذا المجال، منها على سبيل المثال لا الحصر محاولة محمد قطب في التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية." (شروخ، 2010، صفحة 24)